

الدرس الخامس الحصة الاولى ادب العالم مع طلبته

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكمان على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، ولا سهل إلا ما سهلته، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً، فأجعلني الحزن سهلاً، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وفهماً يا رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أما بعد، فالسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وبارك الله يومى ويومكم، وأعمالكم، ونفعني الله وإياكم بهذا اللقاء بجاء الحبيب المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الشرفاء،

مع درس جديد من دروس مادة الأخلاق، ومع كتاب تذكرة السامع، والمتكلم في آداب العالم، والمتعلم لصاحبه، إمام العلامة القاضي بدر الدين ابن جماعة الكنائى الشافعي رحمه الله تعالى، ووصل بنا الحديث إلى الفصل الثالث من الباب الثاني تحت عنوان في أدب العالم مع طلبته مطلقاً، وفي حلقته يقول المصنف رحمه الله تعالى ونفعنا بعلومه في الدارين آمين، وهو أي هذا الفصل الثالث في أدب العالم، مع طلبته مطلقاً، وفي حلقته.

وهو نوعاً.

النوع الأول أن يقصد بتعليمهم وتهذيبهم وجه الله تعالى، ونشر العلم، وإحياء الشرع، ودوام ظهور الحق، وخمول الباطل، ودوام خير الأمة بكثرة علمائها، واغتنام ثوابهم، وتحصيل ثواب من ينتهي إليه، علمه من بعدهم، وبركة دعائهم له، وترحمهم عليه. ودخوله في سلسلة العلم بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم، وعاداه في جملة مبلغ، وحي الله تعالى وأحكامه، فإن تعليم العلم من أهم أمور الدين، وأعلى درجات المؤمنين.

هذا النوع الأول قد يكون من أهم الأنواع في هذا الباب، إن لم يكن في الكتاب كله، لأنه يتحدث عن القصد والنية، والنية دائماً هي أهم ركن من أركان العمل، لذلك دائماً في كل عمل، سواء كان هذا العمل من العبادات أو المعاملات، نجد أول ركن هو النية. النية هي القصد، وهي التي سنميز بها.

بين العمل المقبول وغير المقبول، أو بين العمل الصحيح وغير الصحيح، وإن كان القبول بيد الله سبحانه وتعالى، وعند الله سبحانه وتعالى، ولكن للقبول علامات وشروط من بينها النية الصادقة أن تقصد بعملك وجه الله تعالى لا غير، لأن الله لا يحب الشريك.

سواء كان هذا الشريك في العبادة، أو في القصد، أو في غيره. لذلك قال أن يقصد بتعليمهم وتهذيبهم وجه الله تعالى، أي أن لا يقصد بتعليمه الرياء، أو العجب، أو الكبر، أو طلب المنزل، والمدح، لأن كل هذه النوايا تحبط العمل، وكان النبي صلى الله عليه وسلم دائماً ما ينبه ويحذر عن النية، وكما تعلمون أن أول حديث في كتاب ال النووي هو حديث إنما ماله بالنيات، وهذا الحديث تقريباً جل أحاديث، أو جل كتب الأحاديث ي تصدر ب هذا الحديث، إنما الأعمال بالنيات لأهمية خطورة النية، وأيضاً يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث عظيم وخطير، وهو قوله عليه الصلاة والسلام إن أول من تسعر بهم النار يوم القيامة ثلاث يعني ثلاثة أصناف أصناف سيكونون خطباء لنار جهنم، من هم يا رسول الله؟

من بين هؤلاء الثلاثة؟ قال وعالم.

عالم ستسعر به النار يوم القيامة؟ لماذا؟ قال يؤتى به يوم القيامة، فيعرفه الله نعمه فيعرفها أو فيعرفها؟

فيقول له ربنا سبحانه وتعالى فيما عملت بها بهذه النعم حفظ، ونعمة الت لعلم ونعمة الذكاء، فيقول يا رب تعلمت فيك العلم وعلمته، وقرأت فيك القرآن، أي لأجلك القرآن يعني أردت بكل ما عملت بالقرآن والعلم وجهك، فيقول له ربنا سبحانه وتعالى كذبت وهو أعلم به وبنيت كذبت، ولكنك تعلمت العلم وعلمته، وقرأت القرآن كي يقال فلان قارئ، يعني أنت جلست في المجلس تحفظ القرآن وتعلم القرآن، لا تبتغي بذلك وجه الله تعالى. إنما كان مرادك مدح الناس تريد أن ينادوك آ، أن ينادوك ال ال الناس ب مولانا الشيخ مولانا العالم يا أستاذنا يا شيخنا، إلى غير ذلك من الألقاب، قال كذبت ولكن.

أردت أن يقال لك فلان قارئ، وقد قيد، يعني ألم يكن جزاؤك؟ أو ألم تكن نيتك في الدنيا أن تنال مدح الناس؟ والخطوة بين الناس؟ أخذتها أم لا؟ أخذت جزائك، وقد قيل يعني بلغتنا إحنا خالصين، ماذا تريد منا؟ أردت مدح الناس فأخذته في الدنيا، وقد قيل، ثم يأمر الملائكة فيقف في النار.

لماذا؟ لأن نيته لم تكن خالصة لوجه الله تعالى؟ يا إخواني هذا كلام مهم جداً، على الإنسان أن يداوم محاسبة نفسه. لا بد أن تراقب نفسك، لأن النفس خبيثة، لأن النفس أماراة بالسوء، بل قد يدخل الإنسان مجلس علم، يريد أن يدرس الناس، فيدخل بنية صادقة خالصة مخلصه، ولكن قد تنقلب النية عليه، وقد تتغير النية أثناء الدرس، لذلك كان مشايخنا يوصوننا بأن نصطحب نيتنا من أول العمل إلى آخره، لأن النية قد تبدأ في البداية خالصة لوجه الله تعالى، ثم توسوس لك نفسك، وتحدثك بأشياء تجعل نيتك محبطة لعملك. لذلك، لا بد أن تحاسب نفسك، وأن تجدد النية من أول العمل إلى

آخره، ثم في هذا النوع أراد أن يبين من بيننا النوايا، لأن العمل كما في السنة ال الأفضل أن تجمع النوايا، وهو ما يسمونه بتجميع النوايا، لا تنوي نية واحدة، بل تقول نويت إحياء الدين، ونويت إحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونويت التعلم والتعليم، ونويت الإفادة والاستفادة، ونويت التقرب إلى الله سبحانه وتعالى، ونويت ونويت، وعلى قدر نواياك توجر، ويزداد ثوابك إن شاء الله. ومن بين أعظم النوايا إحياء شرع الله إحياء شرع الله، خاصة في هذا الزمان، هذا الزمان الذي صار فيه التعلم العلم الشرعي من الأمور الثانوية.

وهذا أمر خطير جداً، لأن الأمور الشرعية، خاصة العبادات والمعاملات التي سنسأل عنها يوم القيامة، سنسأل عن صلاتنا، سنسأل عن طهارتنا، سنسأل عن زكاتنا، عن صيامنا، عن حجنا، عن بيعنا وشرائنا، وكل ما يتعلق بالمال.

عن الأحوال الشخصية من زواج وغير ذلك، كل هذا لا يصلح ولا يحسن إلا بالعلم، فتنوي بتعلمك أولاً الاستفادة، والتعلم ثانياً أن تحيي بذلك شرع الله ودينه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض.

حتى النملة في جحرها، يصلون على معلم الناس.

الخير، يصلون أن يدعون لمعلم الناس الخير، انظروا لمثل هذا الأجر. انظروا إلى هذا الفضل العظيم الذي خبئه ربنا سبحانه وتعالى إلى طالب العلم، لذلك من أشرف العبادات التي يتقرب بها المؤمن إلى ربه، طلب العلم الشرعي، لعمري ما هذا إلا منصب جسيم، وإن نيله لفوز عظيم، نعوذ بالله من قواطعه ومكدراته، وموجبات حرمانه، وفواته، آمين.

ثم انتقل إلى النوع الثاني، وهو قوله ألا يمتنع من تعليم الطالب لعدم خلوص نيته، فإن حسن النية مرجو له ببركة العلم، يعني إذا شعر الأستاذ والشيخ أن هذا الطالب الذي جاءه للتعليم.

شعر وأحس أن نيته ليست خالصة خالصة لوجه الله تعالى. ستقول لي، وكيف علم ذلك؟

فإن النية محلها القلب، لأ، يعني قد تظهر علامات، وقد تظهر سلوكات تبين ما في الباطن، والمشايخ وال العلماء الربانيين هم أعلم بمثل هذه النفوس، ويمثل هذه النفسات، فقال لا يكون هذا أو هذه النية، أو هـ، لا يكون مثل هذه التصرفات التي تنبأ عن باطن الطالب. حائلاً بين الشيخ وبين تعليمه، ألا يمتنع من تعليم الطالب لعدم خلوص نيته؟

نيته؟ تقول لماذا؟ أليس الأولى أن لا يعلم؟ وأن لا يهدي علمه؟

لمن يعرف أن نيته ليست خالصة لله تعالى؟ لا؟ لماذا؟

قال لأنه يرجو من الله؟ سبحانه وتعالى أن يحسن نيته ببركة العلم.

ببركة العلم يدخل بنية غير خالصة.

ثم بباركة هذا العلم يغير الله، ويحسن الله نيته، لماذا؟ قال بعض السلف، وقيل أن هذه المقولة منسوبة إلى الإمام الغزالي حجة الإسلام رضي الله عنه، طالبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله، يعني في بداية طلب العلم قد تكون النية غير حسنة، يعني أريد أن أتعلم.

حتى أصير شيخاً، حتى أصير عالماً، حتى أصير أفتي للناس وأجيب الناس، وحتى يقدموني في المجالس، هذه ال النوايا تحصل، يعني عادي قد تحصل في بداية الطلب، ولكن.

إذا استمر في طلب العلم بإذن الله بإذن الله سبحانه وتعالى، وبباركة العلم، يعرف أن هذه النية لا تصلح.

فيجدد نيته بطول المدة، فبداية الطلب تكون النية غير خالصة لله، سعت سبحانه وتعالى، ثم تتحسن نيته نيته، ويعلم أنه لا مفر من أن يجدد نيته ويجعلها خالصة لوجه الله تعالى، قيل معناه، فكان عاقبته أي عاقبة النية والعمل والعلم.

أنصار لله، ولأن إخلاص النية لو شرط في تعليم المبتدئين فيه، مع عسره على كثير منهم، لأدى ذلك إلى تفويت العلم كثيراً من الناس.

يعني إذا كان من شروط قبول الشيخ للطلبة أن تكون نواياهم خالصة لله تعالى، هذا يعسر، خاصة للمبتدئين، يعني أ. هـ مثل هذه الأمراض ومثل هذه النوايا تكون في الغالب لا أقول يعني دائما في الغالب تكون في هذا المستوى، يعني إنسان لا زال في أول خطوة من طلب العلم طبعاً. يتحدث نفسه بأشياء يعني غير حسنة.

ونفسه، ستحاول أن لا تجعل نيته خالصة لله تعالى، هذا ما زال في أول خطوة في طالب العلم، فعل الأستاذ وشيخ أن يصبر، وأن يتوجه إلى الله تعالى، حتى يطهر باطنه، أي ذلك الطالب من كل ما يحول بينه وبين قبول العمل.

لكن الشيخ يحرض المبتدأ على حسن النية بتدريج قولاً وفعلاً، لكن الشيخ يتخذ أسباب بماذا؟ بالنصح طبعاً لا يكون النصح موجهاً معنا إلى الشخص، خاصة إذا كان بين المجموعة، ولكن استنوا بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ما بال أقوام يعني يذكر ويجدد نية؟ والله يا إخواني. نحن حضرنا مع مشايخنا. كثير من مشايخنا كانوا في دائماً في بداية كل الدروس، يذكروننا بالنية النية، يا إخواني، النية النية يعني وتجد ذلك الشيخ ما شاء الله في مراتب العلم، وقد تكون أو يكون المجلس ليس خاصاً بالمبتدئين، ممكن بالمتوسطين والمنتهيين ولا زالوا يذكروننا بالنية، لا تقل يعني خلاص يعني النية انتهت.

وما شاء الله، نحن في السنوات المتقدمة في طالب العلم بالعكس كلما ازدادت علماً، كلما ازدادت النفس خبثاً، وكلما ازداد الخطر فيك، لأنه من مظنة العجب والكبر، ازدياد العلم، فلا بد للإنسان أن يحاسب نفسه، وأن يراقب نيته، قال ويعلمه بعد أنسه به أنه ببركة حسن النية، ينال الرتبة العلية من العلم والعمل، وفيض اللطائف، وأنواع الح الحكم والتتوير القلب، وانسراح الصدر، وتوفيق العزم، وإصابة الحق، وحسن الحال، والتسديد في المقال، وعلو الدرجات يوم القيامة.

علينا يا إخواننا.

دائم أن نتذكر قول الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله.

كلما حسنت نيتك، كلما فتح الله عليك فتوح العارفين، كلما حسنت نيتك، وتوجهت إلى الله سبحانه وتعالى وتعالى إلا وفتح الله لك مغاليق المسائل، تجد بعض المسائل يعني مشكلة وصعبة ومغلقة، ولكن بتوجهك إلى الله وحسن نيتك وقصدك، تنفتح هذه الأبواب ويفيض الله أو يفيض الله عليك من العلوم، ومن الفهم ما شاء الله، لذلك كلما حسنت النية كلما أفاد الله عليك من أنواع العلوم والفهم والأنوار والأسرار، ما فتح الله به على السابقين، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحسن نوايانا.

وأن يجعلها خالصة لوجهه سبحانه وتعالى. نكتفي بهذا القدر، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.